المصدر: الاهـــرام

التاريخ: ٤ اكـتـوبـر ١٩٩٥

من طابا إلى واشنطن .. اتفاق على الهواء !

نقطة ابتداء..

٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ رحل الزعيم خالد الذكر جمال عبدالناصر.. ٢٨ سبتمبر ١٩٩٥ وقع ياسر عرفات واسحق رابين الاتفاق التكميلى فى مسار التسوية الفلسطينية - الاسرائيلية.

صلاح الدين حافظ

ربع قرن ضاع من اعمارنا، بين الحلم والواقع، وعلى الاجيال الجديدة ان تتامل بتفهم وعقلانية، الفرق بين زمان الحلم الذى راودنا فى بناء امة قوية حديثة، وبين زمان الواقع المفروض، الذى قد يزيح الحلم ويبنى مكانه الوهم.. ثمة فوارق فريدة هى فى تاريخنا الحديث!!

قبل ايام، تابعنا على الهواء عبر الشاشة الصغيرة الحدث «التاريخى» لتوقيع الاتفاق الفلسطينى - الاسرائيلى، فى عاصمة العواصم واشنطن، تحت الرعاية الامريكية، التى بذلت جهودا ضخمة وملحة ومارست ضغوطا عاتية، لكى يصل الطرفان الفلسطينى - الاسرائيلى، الى «اتفاق حول الاتفاق»، خلال المفاوضات العصية التى دارت فى طابا على مدى اسابيع من الكر والفر.

وبداية يجب ان نذكر، ان التوصل الى هذا الاتفاق الاجرائى، الهادف الى اعادة انتشار القوات الاسرائيلية فى الضفة الغربية - وليس انسحابها - قد تاخر عن موعده الاصلى الذى نص عليه الاتفاق الفلسطينى - الاسرائيلى الاول، بنحو خمسة عشر شهرا، امضاها الجانبان فى ممارسة «لعبة التضاغط»، الفلسطينيون اى السلطة الوطنية الفلسطينية بقيادة عرفات، المحاصرة فى قطاع غزة وجيب اريحا، يضغطون على اسرائيل، لتنفذ ما سبق الاتفاق عليه، توسيعا لسلطة الحكم الذاتى، قبل ان تذبل ويتبدد «السلام المرجو»، والاسرائيليون بقيادة رابين - بيريز يماطلون يتهربون يسوفون، رهانا على ضياع الوقت وصعود اليأس فالنسيان!

عبر خمسة عشر شهرا من الشد والجذب، اصبح عنصر الوقت هو صلب عملية التفاوض المعقدة.. اذ بقدر قلق الفلسطينيين من نفاد الوقت وتبدده شهرا وراء شهر بما يعنيه من تضخم المشاكل خصوصا تنامى قوة المعارضين للسلام مع اسرائيل بالشروط التى تم بها، بقدر مهارة الاسرائيليين فى اضاعة الوقت تأجيلا لتطبيق المبادىء الرئيسية، التى سبق ان وافقوا عليها، ورهانا على ان المستقبل ربما يعطيهم فرصا افضل، لتحويل هذا الاتفاق الى مجرد وهم ليس له من الواقع نصيب.

وقد كان موحيا، ان تنتقل المفاوضات بين الجانبين فى مراحلها الاخيرة والصعبة الى «طابا» بالذات.. آخر قطعة ارض مصرية حاول الاسرائيليون التشبث باستمرار احتلالهم لها، ورمز اصعب مراحل التفاوض بين مصر واسرائيل، واشهر قضايا التحكيم الدولى خلال نصف القرن الاخير، التى شهدت اطنانا من الوثائق والمرافعات وشهادات الشهود، والتى ان جاءت نتيجتها النهائية لصالح مصر بعودة آخر شبر من حدودها الدولية الى سيادتها، فانها لم تكن لتصل الى هذه النتيجة لولا حنكة المفاوض المصرى وقدرته على مقاومة التسويف والمراوغة الاسرائيلية، وصلابته فى الدفاع عن شرف الوطن - كمبدأ - حتى لو كان متعلقا بشبر واحد من الرمل.. ذلك المبدأ الذى غسلته حرب السادس من اكتوبر المجيدة بالدماء الزكية فطهرته من مرارات الهزائم والنكسات!!

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

ونحسب ان مناخ درس طابا المصرى، كان هو المعلق فوق رؤوس المفاوضين الفلسطينيين والاسرائيليين، فى ارض طابا طوال الاسابيع الماضية، المفاوض الفلسطينى يحاول استلهام مغزى هذا الدرس والتمسك بقوة الحجة مع الصبر ومجابهة المراوغة بالحق، والمفاوض الاسرائيلى، يحاول ان يبتدع اساليب جديدة فى المراوغة التفاوضية، تبعده عن تكرار نفس الدرس على

وتيرة ما جرى من قبل مع المفاوضين المصريين، الذين سلبوه الحجة، بعد ان سلبه المقاتلون المصداقية فى مواجهة السادس من اكتوبر!

الآن... بعد ان اتفق الطرفان، من منهما استفاد من درس طابا حقا، من كسب ومن خسر؟!

■■■

نحسب انه من السابق لاوانه، الحكم على الاتفاق الفلسطينى - الاسرائيلى الاخير، حكما متكاملا، لسبب جوهرى، هو اننا لم نطلع بعد على كامل نصوصه العديدة، خصوصا انه يقع فى نحو ٤٥٠ صفحة، فضلا عن كومة هائلة من الخرائط التفصيلية المرفقة كوثائق مكملة للاتفاق.. ولكننا من القراءات الاولية التى اتيحت لنا، نستطيع هنا مناقشة المبادىء العامة التى جاءت به، بل التى جاء هو من اجل اقرارها، برضا الطرفين وبمباركة الآخرين.

ولنا هنا عدة ملاحظات هى :

■ اولا : ان الاتفاق الاخير لا يدخل فى نطاق الاتفاقات السياسية الجوهرية، ولكنه فى اعتقادنا، اتفاق اجرائى بحت، هدفه تنفيذ بعض ما جاء فى الاتفاق الفلسطينى - الاسرائيلى الرئيسى الذى جرى توقيعه فى واشنطن عام ١٩٩٣، والذى كان بمثابة تتويج رسمى لمحادثات سياسية سرية احيانا علنية احيانا اخرى، بلغت ذروتها فى اتفاق «اوسلو» عاصمة النرويج.

ولذلك فمن الخطأ الحكم على الاتفاق الاخير بمنظور سياسى بحت، اى من الخطأ تصور ان مثل هذا الاتفاق، هو الامل المرتجى وهو «غاية المنى» كما يقولون، او هو اولى خطوات بناء دولة الاستقلال فوق ارض فلسطين المقدسة.

■ ثانيا : رأينا اذن ان هذا الاتفاق، هو مجرد نقطة تحرك مرحلية فى صراع التفاوض الفلسطينى - الاسرائيلى صلبه، نقل «بعض الصلاحيات الادارية»، التى كان يمارسها جيش الاحتلال الاسرائيلى فى الضفة الغربية، الى سلطة الحكم الذاتى الفلسطينى، مثل صلاحيات الخدمات كالنقل والمواصلات واختصاص البلديات والمحليات، والاشراف على الامن فى بعض - وليس كل - المدن الرئيسية، مقابل اعادة انتشار القوات الاسرائيلية خارج هذه المدن، لتتمركز فى المواقع الاستراتيجية وطرق المواصلات ونقاط التحكم الرئيسية.

وهذه خطوة يعتبرها المفاوض الفلسطينى، تقدما كبيرا يمكن السلطة الفلسطينية من ممارسة سيادتها على ارضها ويتيح لها توسيع سلطتها خارج نطاق غزة - اريحا، ويسمح لها باجراء انتخابات عامة، بين ابناء شعبها لاختيار ممثلين منتخبين يتولون السلطة فى المستقبل، ويمهدون الطريق نحو الدولة المستقلة!!

فى حين يؤمن الاسرائيليون، بان هذا الاتفاق مجرد خطوة اجرائية تكتيكية، سمحت لقواتهم بالتخفف من عبء الاصطدام اليومى بالفلسطينيين فى المدن والمناطق السكنية المكتظة - حيث دارت معارك الالتحام المستمرة منذ زمن انتفاضة الحجارة حتى الآن - فى حين انهم لم يفقدوا من الناحية الاستراتيجية قدرة التحكم فى كل المناطق التى سينسحبون منها، ولم يفقدوا ميزة بقاء يدهم وسلطتهم العليا على الامور، خصوصا بعد ان جرى تقطيع اوصال الضفة وغزة وعزل بعضها عن بعض، طبقا لنصوص الاتفاق!

■ ثالثا : لان الاتفاق جاء بهذا الشكل الهش، وبعد المفاوضات العسيرة، فانه عمليا فشل فى تحقيق اى من الاهداف الرئيسية

للشعب الفلسطينى، بعد ان فشل المفاوضون فى التوصل لاتفاق حول القضايا الجوهرية.. فجرى تاجيلها الى مرحلة قادمة..

فما هى هذه القضايا الرئيسية التى تم تعليقها او تاجيلها.. خذ عندك قضايا، هى جوهر القضية الفلسطينية، مثل حق السلطة الوطنية الفلسطينية فى السيادة على الارض وعلى المياه - خصوصا المياه - وحق الدفاع الوطنى، والاتفاق على الحدود الدولية، ومستقبل الاف المعتقلين الفلسطينيين فى السجون الاسرائيلية، وتوزيع الكهرباء، وصولا للغموض المتعمد حول مستقبل الدولة الفلسطينية، وحق العودة للاجئين، ووضع القدس اضافة الى الخليل، وكلتاهما تتعرض للتهويد الكامل، ووضع المستوطنات الاسرائيلية فى الضفة التى تصل الآن الى ١٢٥ مستوطنة، هى ترسانات عسكرية مغروسة فى اللحم الفلسطينى، تزدحم بنحو ١٤٠ الف مستوطن!

فان كان الاتفاق الاخير قد اجل كل هذه القضايا الجوهرية والحيوية، الى مستقبل التفاوض الغامض، فماذا انجز، غير اشتداد حدة الخلاف حوله؟!

■■■

حدة الخلاف حول الاتفاق الفلسطينى - الاسرائيلى الاخير، بدأت منذ اللحظات الاولى، على الجانبين العربى - والفلسطينى خصوصا - والاسرائيلى كذلك..

فان كان مجلس الوزراء الاسرائيلى مثلا، قد صدق على مسودة الاتفاق يوم الاربعاء الماضى - ٢٧ سبتمبر - قبل التوقيع فى

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

واشنطن بيوم، باغلبية ١٨ صوتا، فان وزيرين رفضاه هما وزير الطاقة «جونين سيفيف» ووزير الاديان «شمعون شتريت»، لانهما يريان فيه خطرا على مستقبل الدولة العبرية، وبينما تحمس بعض الوزراء للاتفاق، مثل قول «بنيامين اليعازر» وزير الاسكان، ان عملية السلام الحقيقى تبدأ بهذا الاتفاق، فان زميلا له، عبر عن رأى آخر، وهو «ابراهام شوحات» وزير المالية، الذى قال ان هذا الاتفاق يعنى نهاية دولة اسرائيل من البحر الى النهر، ويعنى من البحر الابيض المتوسط الى نهر الاردن!!

وان ظلت هذه المعارضة الاسرائيلية، داخل «النطاق الحكومى» فان المعارضة الاكثر حدة وتشددا، ظهرت بالضرورة على الجانب الآخر، جانب المستوطنين وجانب المتشددين السياسيين والدينيين، من انصار حزب الليكود، الى اعضاء الاحزاب الدينية والمنظمات اليهودية المتعصبة والمتطرفة، وكلهم يرون ان هذا الاتفاق سيدمر تماما الدولة اليهودية فى القريب، ويحوى بنودا سرية - كما يزعم احد زعماء المتطرفين وهو «اهارون دومب» - تسمح للفلسطينيين بتدمير كل المستوطنات اليهودية قريبا، وصولا لتهديد زعماء الليكود بانهم سيلغون الالتزام الاسرائيلى، باتفاق السلام مع الفلسطينيين، اذا وصلوا الى الحكم فى الانتخابات العامة المقرر اجراؤها فى العام القادم!!

يبقى ان نتعرض للموقف العربى من الاتفاق الفلسطينى - الاسرائيلى الاخير.. فان كان الترحيب هو سمة معظم الحكومات العربية، فان بعضها قد عارض وندد.. يكفى ان نذكر هنا الانتقاد السورى والهجوم اللبنانى، وكلاهما له وزن ودور، بحكم رؤيتهما القائلة ان التسارع المنفرد فى الاتفاق على المسار الفلسطينى - بعد الاتفاق الاردنى - يضعف قوة التفاوض على المسار السورى - اللبنانى.

غير ان الذى يلفت النظر اكثر هو المعارضة الفلسطينية لهذا الاتفاق، وهى معارضة تضم كل الوان قوس قزح، تضم معارضة التيارات الاسلامية - حماس وجهاد - وتضم التيارات اليسارية والراديكالية، مثلما تضم بعض المعتدلين فى الوسط، وكلها معارضة تعبر عنها المنظمات الفلسطينية العشر المعارضة لسياسة عرفات والتى تتخذ من سوريا مقرا لها.

لكن الذى يلفت النظر اكثر هو تاكل التاييد لعرفات وسياسته داخل اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، حصنه الرئيسى والشرعى فى القيادة.. فعندما دعا الرئيس عرفات اللجنة التنفيذية لاجتماع عاجل فى تونس - قبل مغادرته لباريس ثم واشنطن - لكى تقر اتفاق طابا قبل توقيعه فى العاصمة الامريكية، حضر تسعة اعضاء ورفض الحضور سبعة اعضاء تاكيدا على معارضتهم لهذا الاتفاق..

ومن بين التسعة الحضور، وافق ثمانية اعضاء ورفض عضو واحد هو سمير غوشة، اى ان القراءة الحقيقية للتصديق الفلسطينى على الاتفاق قد تمت بثمانية اصوات مقابل معارضة ثمانية آخرين، الامر الذى اعتبره الاعضاء المقاطعون - ومن بينهم شخصيات بارزة مثل فاروق قدومى رئيس الدائرة السياسية ومحمود درويش وشفيق الحوت وسليمان النجاب وعبدالله الحورانى - بمثابة اجتماع غير نظامى، وبالتالى فان التصديق غير شرعي وغير ملزم للشعب الفلسطينى، لانه اتفاق يتضمن «تنازلات خطيرة تهدد الحقوق الفلسطينية ويسهم فى استمرار الاحتلال الاسرائيلى» مقابل ضياع الامل فى اقامة الدولة الفلسطينية المستقلة!!

كيف... يلخص المعارضون، اسباب رفضهم لاتفاق طابا - واشنطن فى نقاط تستدعى اعادة التفكير، مثل ان هذا الاتفاق يحل ببساطة المشكلات الامنية الاسرائيلية ويخفف من اعبائها، بينما يزيد المشكلات الفلسطينية ويعقدها، يكفى ان الاتفاق الاخير يحقق لاسرائيل ثلاث مميزات جوهرية، هى :

(١) انه يضمن هيمنة اسرائيل الامنية الكاملة على ما بين ٨٠و٩٠٪ من مجموع الاراضى الفلسطينية، بعد ان اتفق على عزل المناطق والمدن الرئيسية بعضها عن بعض - طبقا للنص الرسمى - وحولها الى كانتونات سكنية محاصرة بالقوات الاسرائيلية.

(٢) انه كرس وضع المستوطنات الاسرائيلية - ١٢٥ مستوطنة - فى الاراضى الفلسطينية، وضمن لها الامن الكامل بحماية الجيش الاسرائيلى، وبتحويلها الى ترسانات عسكرية متحكمة فى اهم مناطق الضفة الغربية داخل شبكة مواصلات واتصالات وحماية عالية الكفاءة.

(٣) انه اطلق يد اسرائيل فى تهويد القدس والسيطرة عليها نهائيا، وفى اقرار تهويد الخليل لحماية ٤٠٠ مستوطن فقط على حساب ١٢٠ الف فلسطينى هم سكان الخليل!

اخيرا.. بين هجوم المعارضين، ودفاع المؤيدين، سيظل هذا الاتفاق محل نظر، وسيظل الحكم عليه مؤجلا الى حين تتضح كل حقائقه وتظهر كل خفاياه، لكننا فى كل الاحوال نؤمن بان الاتفاقات رغم بهرجة نقلها على الهواء، تظل معلقة فى الهواء، ما لم تكتسب مصداقية الحق وشرعية الحقيقة، وكلتاهما المصداقية والشرعية مازالت غائبة عنا، بينما اتسعت الابتسامة على وجه الرئيس الامريكى كلينتون، باعتباره الرابح الاكبر من اتفاق على الهواء، تابعه المشاهدون.. وغفوا!!

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية